# القديس اغسطين و دوره في القضاء على الحركة الدوناتية

# (مناظرة قرطاج)

زموري خديجة -جامعة 08 ماي 45 –قالمة-

# Saint-Augustin et son rôle dans l'élimination

# du mouvement des donatiste

# (Conférence de Carthage)

**ملخص المقال باللغة العربية**

يعتبر الانشقاق الكنسي الذي مسّ الكنيسة الإفريقية من أهم الأحداث التي ميزت المنطقة في القرن الرابع وبداية القرن الخامس للميلاد و الذي انتهى بتقسيم الكنيسة إلى طرفين متناحرين الأولى كنيسة كاثوليكية و الثانية دوناتية ؛ دام هذا الانشقاق قرابة قرن من الزمن ، حال دون إيجاد حل يرضي الطرفين و يلم شمل الكنيسة تحت شعار الوحدة الكاثوليكية ؛ في 391م وصل أغسطين إلى كنيسة هيبورجيوس ، أين عين قسا لها ثم اسقفا طيلة 40 سنة ، فتمكن هذا البليغ المتمرس أن يدحض الدوناتية ، عن طريق استراتيجية الجدل الكلامي ؛ التي توجت في النهاية ، بإقناع للإمبراطور هونوريوس بعقد مناظرة عالية المستوى ، تفصل بشكل نهائي في قضية الانشقاق ؛ عقدت المناظرة في 411م بقرطاج ، واستطاع أغسطين أن يكون العنصر الأبرز و الفعال مما رجح كفة الكنيسة الكاثوليكية على حساب منافستها الدوناتية التي اطلق عليها الحرم ، و من ثمة استطاع أغسطين أن يقضي على حيوية الدوناتية التي بقيت شوكة في حلق السلطة الرومانية في إفريقيا الشمالية طيلة قرن من الزمن .

**الكلمات المفتاحية:**

اغسطين ، الكنيسة الكاثوليكية ؛ الكنيسة الدوناتية ؛ مناظرة قرطاج ؛ انشقاق كنسي ؛ هونوريوس .

**Le résumé de l'article en français :**

Le schisme qui a touché l'église africaine est l'évènement le plus célèbre, qui à terminer par la division de l'église en deux parties , église catholique et église donatiste , ce schisme duré un siècle 312 -411 Ap.j-c sans trouve une solution finale qui réunit les deux s sous le couvert de l'union catholique , a l'arrivé de saint augustin en 391ap.j-c , nommé un Prêtre en suite évêque de l'église de Hippone durant quarante ans . il a pu vaincre les donatistes avec sa stratégie polémique , il a pu aussi convaincre l'empereur a organisé une conférence de haut niveau pour mettre fin a ce schisme de façon définitive . l'empereur a décidé d'organiser cette conférence a à Carthage en 411. Augustin a pu être l'élément le plus proéminent et le plus efficace de l'Église catholique ou il a aussi pu éliminer la vitalité du Donatisme, qui est restée un Obstacle En face de la force romaine en Afrique du Nord depuis un siècle.

**Mot clef :**

Saint –Augustin, Horonius , église catholique , église donatiste , conférence de Carthage , schisme de église .

***مقدمة :***

يعتبر الانشقاق الكنسي الذي مسّ الكنيسة الإفريقية من أكثر الأحداث التي ميزت شمال إفريقيا نهاية القرن 04 م إلى بداية القرن 05 م ، و الذي ولّد كنيستين متناحرتين الأولى كنيسة كاثوليكية رسمية حظيت بدعم السلطة الزمنية و الثانية كنيسة دوناتية عانت من اضطهاد السلطة لها ، ظل هذا الصراع قرابة قرن من الزمن استنفذت فيه السلطة الرومانية كل الوسائل و السبل ، مستعملة تارة التهديد و الوعيد وتارة أخرى اللين ، غير أن ذلك لم يزدها إلا حيوية و قوة و انتشارا ، إلى أن ظهر القديس أغسطين على مسرح الأحداث فتغيرت كل المعطيات و رجحت الكفة لصالح الكنيسة الكاثوليكية و من ثمّة قضى على الانشقاق و نجح في تحقيق الوحدة الكنسية ، و من خلال هذه الدراسة نريد ان نسلط الضوء على الخلفيات التي مكنت أغسطين من القضاء على أكبر انشقاق مسّ الكنيسة خاصة و قد فشل سابقوه من أساقفه أو سياسين في القضاء عليه .

فمن هو أغسطين ؟ و ماهي الاستراتيجية التي اتبعها في مقاومة خصومه الدوناتيين و أن يحقق ما لم تحققه السلطة الرومانية طيلة قرن من الزمن؟

***1- مولد و نشأة القديس أغسطين :***

ولد أغسطين بهيبون ( حاليا مدينة عنابة بالجزائر ) ، و بالتحديد في منطقة جبلية تدعى تاغست ، في 13 نوفمبر 354م[1] من أم مسيحية تدعى مونيك (Monique) و أب وثني يدعى بتريكيوس (Patricuis)[2] ؛

هذا الأخير رغم وثنيته كان متساهلا و متسامحا مع الدين المسيحي و لم يعارض تلقي ابنه مبادئ و تعاليم المسيحية منذ الصغر.

حظي اغسطين برعاية عائلية لاسيما من طرف والده ، الذي كان يعاني من صعوبات مالية[3] رغم ذلك لم يدخر مالا و لا جهدا في سبيل أن يتلقى وابنه تربية علمية صحيحة ، تسمح له بتبوأ مكانة في مجتمع ، روماني ، يعتبر المحاماة و القضاء هي ذروة المجد و الرفعة[4] ، حيث يذكر في هذا الصدد قائلا :" ***لم يبقى احد إلا و اثنى على والدي لأنه تحمل في سبيل ولده فوق طاقته ، نفقة الدراسة و المعيشة .....كثيرون من ممن يفوقونه غنى ما ضحوا قط مثله في سبيل أولادهم*** ....."[5]، دون أن ننسى فضل والدته خاصة على المستوى الرّوحي و الأخلاقي ، إذ عملت على تعليمه مبادئ المسيحة منذ نعومة أظافره فرضع اسم المسيح مع لبن أمه[6] .

تلقى اغسطين تعليمه الأولي في مسقط رأسه تاغست[7] ، و لم تظهر عليه أي علامات ذكاء أو فطنة أو حب اتجاه التعلم[8] ، بل عانى من عقاب و ذم أساتذته له بسبب تكاسله و تقاعسه في إنجاز واجباته[9]

في حوالي 365م[10] انتقل أغسطين إلى مادور من أجل إكمال تعليمه[11] ، أين بدأت مهاراته و مواهبه البلاغية تظهر تفوقه على أقرانه لاسيما في فن التعبير عن نفسه[12] ؛ بعد اربع سنوات رجع أغسطين إلى مسقط رأسه ليبقى سنة كاملة إلى جانب عائلته و أصدقاءه و ذلك بسبب عدم قدرة والده على تدبير مصاريف الدراسة و أتعاب النقل[13]، و بحلول سنة370م وصل إلى قرطاج عاصمة الإشعاع الثقافي و رمز الحرية حتى اطلق عليها أغسطين اسم "***مرجل الشهوة المدنسة***"[14] ، و إطلاقه هذه التسمية ربما يعود للتحولات التي عرفها على عدة مستويات في هذه المدينة ، التي احتقرها فيما بعد ، فعلى المستوى الشخصي ،اتخذ أغسطين خليلة أنجبت له طفل سنة 371م و الذي كان يسميه "عطية الله"[15] ، أما على المستوى العلمي الثقافي هو اطلاعه على كتاب هورتونيوس لشيشرون ، هذا الكتاب الذي بدأت معه الاستنارة العقلية لأغسطين ، كما كانت أساس تفوقه الخطابي الذي ابدع فيه بشكل منقطع النظير ، مما أهله إلى فتح مدرسة تدريس الخطابة و هو لايزال في سن التاسعة عشرة من عمره [16] ، أما على المستوى العقائدي فقد اعتنق المذهب المانوي[17] ، وظل من مستمعيه طيلة تسع سنوات إذ يقول :" ***طول تلك السنوات التسع الممتدة بيت التاسعة عشرة و الثامنة و العشرين من عمري كنا فريسة لشهوات مختلفة كنا نغزي الناس و يغزوننا ، و نخدعهم و يخدعوننا تارة علنا بواسطة العلوم (الحرّة) و وتارة سرا تحت شعائر الدين الكاذبة***"[18]

شلّ حماس اغسطين اتجاه المانوية و لم يعد يرجو منها تنويرا ، و ذلك بعد فشل اشهر اتباعها في الإجابة عن كل التساؤلات و المشكلات التي تؤرقه[19]، فنتقل إلى روما سنة 383م بحثا عن عمل افضل ، و لما لا منصب مرموق ، لكنه لم يمكث بها طويلا فسرعان ما انتقل إلى ميلانو سنة 384م[20] ، و نجح في الحصول على منصب أستاذ بلاغة[21] بفضل مساعدة احد أصدقاءه يدعى سيماخوس ، على أن هذه الإقامة ستشهد التغير الجذري لأغسطين تبعا للأحداث التي عاشها في هذه المدينة ، و كانت المحطة الأولى ، اعتقاده بالأفلاطونية الحديثة[22]التي مثلت إكمال التطور العقلي لأغسطين إن صحّ التعبير[23] إذ ساعدته الفلسفة الأفلاطونية بطريقة إيجابية ، و ذلك بتصحيح أفكاره عن الله ؛ أما المحطة الثانية كانت مع القديس امبروازيوس[24] ، الذي واضب على سماع مواعظه ، ليس اهتماما لما جاء فيها من معاني و إرشادات ، إنما إعجابا بفصاحته و بلاغته ، هذا الحضور الدائم جعل امبروازيوس يكشف الغموض لدى أغسطين حول معاني الكتاب المقدس ، و من ثمة اكتشف قيمة معانيه بعد أن كان بالأمس يحتقر عباراته و يهزأ بأسلوبه .

انكب أغسطين في هذه الفترة بمعية صديقه اليبيوس و ابنه اديوداتوس على دراسة العقائد الأساسية للإيمان المسيحي ، تحضيرا للمعمودية التي تلقاها على يد امبروازيوس في 387م[25] .

في نفس السنة رجع إلى مسقط رأسه ، أين تمّت سيامته كقس مساعد للأسقف فاليريان ثم بعد وفاته اسقفا لكنيسة هيبون ، لمدّة أربعين سنة كرس فيها كل فكره و جهده لخدمة شعب و كنيسة المسيحية ، فنصب نفسه حاميا للكنيسة الكاثوليكية من كل الهرطقات و البدع المحلية منها و العالمية ، على أن أطول باع له كان في المجادلات الكلامية ضد الدوناتيين ، و الذي دام قرابة تسعة عشرة سنة من 392 إلى غاية 411م .

### 2- الانشقاق الكنسي :

تعود جذور الانشقاق الكنسي إلى 312م، حيث قسمت الكنيسة إلى كنيسة كاثوليكية و كنيسة دوناتية ، ظلتا متناحرتين قرابة قرن من الزمن ، وبدت استحالة التوصل إلى حلّ يرضي الطرفين و يلمّ شمل الكنيستين ، فالدوناتيون رفضوا على مرّ الفترة السابقة الاعتراف أو الانتماء إلى من لقبهم بالمتخاذلين الخونة[26] ، و بالمقابل رفض الكاثوليكيين الانفصال عنهم أو التنكر لهم[27]، محاولين إيجاد حلول تصل الى لم شمل الكنيستين فقد حاول أغسطين في كثير من المناسبات الخوض في مناظرة علنية بين الطرفي لطي حيثيات هذا النزاع ، لكن الدوناتيون كانوا رافضين تماما مواجهة خصومهم ، و حجتهم في ذلك أن الكنيسة الدوناتية كنيسة مقدسة لا يمكن أن تجتمع في مجلس واحد مع الكنيسة الكاثوليكية التي اعتبروها رمزا للخيانة و في خضم هذا النزاع بعث الأساقفة الكاثوليك بعثة إلى الإمبراطور هونوريوس[28] يشتكون فيها الحرّيات الكبيرة التي يتمتع بها الدوناتيون مطالبين بإلحاح شديد إقامة مناظرة تسمح بمواجهة الطرفين و ذلك عن طريق تدخله شخصيا ، و من ثمة الفصل و بشكل نهائي في حيثيات قضية الانشقاق التي أبت أن تنطوي و أصبحت متجذرة اكثر فأكثر عبر الأجيال.

قرر هونوريوس فعلا التدخل عن طريق عقد مناظرة عالية المستوى بين الطرفين ليفصل نهائيا في هذه المسألة ، فأصدر من اجل ذلك مرسومه في 14 جوان 410 م[29] و الذي يفصح فيه عن موافقته على عقد هذا المجمع الذي سيعقد برئاسة الكونت مارسيليانوس[30] .

وصل المفوض الإمبراطوري إلى قرطاج نهاية سنة 410 م ليصدر مرسوم في 19 جانفي 411 م[31] الذي يدعو فيه كل الأساقفة الأفارقة لمناظرة ستعقد في 01 جوان 411 م ، و قد وعدت السلطة الطرف الدوناتي بانها ستتجاوز خلال هذه المناظرة كلّ العقوبات و الإجراءات القانونية التي أخذت من قبل في حقها ، و أنها تكفل الحماية و عدم التعرض لهم مهما كانت النتيجة و يمكنهم العودة إلى أقاليمهم سالمين غانمين [32] و في حالة رفضهم المشاركة في هذه المناظرة ستضطر السلطة إلى اتخاذ إجراءات صارمة ضدهم[33] فما كان أمام الدوناتيون إلا قبول التفاوض و التحاور مع خصومهم الكاثوليك رغما عنهم [34] .

### 3- مناظرة قرطاج :

في 18 ماي 411 م بدأ تهاتف الأساقفة الأفارقة من كلّ مكان قاصدين قرطاج[35] و تقرر عقد هذه المناظرة على ثلاث جلسات حدّدت تواريخها في 01/ 03 / 08 / 411 م و في الفاتح جوان من سنة 411 م[36] اخذ الأساقفة أماكنهم في قاعة كانت قد أعدت خصيصا لهذه المناظرة العظيمة التي لم يشهد سابقة لها في إفريقيا و كان افتتاح الجلسة من طرف مارسيليانوس[37] ، الذي اكدّ على هدف هذه المناظرة و المتمثل في تأكيد الإيمان المسيحي و تثبيت دعائمه ، على أن عقد جلسات المناظرة يكون مغلق و يتم الإعلان عن نتائج الجلسات عن طريق محاضر رسمية مقدمة من طرف الأساقفة الممثلين لكل طرف[38] .

خصصت الجلسة الأولى للمراقبة العامة لقوائم الأساقفة التي أوكلت لهم مهمة المشاركة في هذه المناظرة من الطرفين[39] ، غير أن البداية عرفت الكثير من المشاحنات ، أين وجد رئيس الجلسة مع ممثلين رسميين للسلطة بالإضافة إلى 18 اسقف كاثوليكي ، الأمر الذي رفضه الدوناتيون لأنه اخل بالاتفاق القائل بـ 07 أساقفة من الطرفين و اصرّ بذلك الدوناتيون على أن يحضر الجلسة كل الأساقفة دون استثناء أو تمييز ، فقبل مارسيليانوس طلبهم و قد كان عدد الأساقفة تقريبا متساوي من الطرفين فقد قدّر عدد الأساقفة الدوناتيون بـ 285 اسقف في حين كان عدد الكاثوليك بـ 285[40] عرفت الجلسة نفسها مشاحنات و تفاوض كبير حول طبيعة هذه المناظرة هل هي جلسة تحاور بين الأساقفة من اجل بحث أمور لاهوتية أم هي جلسة محاكمة يتم فيها سماع التهم التي يسردها الكاثوليك ضد الدوناتيين و من ثمة يتم الحكم عليهم[41] .

انتهت هذه المشاحنات المليئة بتبادل الاتهامات بتعيين سبع أساقفة ممثلين عن كلّ طرف حيث تمّ اختيار بتيليان كممثل أول عن الدوناتيون مقابل أغسطين اسقف هيبورجيوس عن الكاثوليك ، كما طلب مارسيليانوس تعيين الدوناتيين لأسقف يكون موازي لرتبته و ذلك من اجل مشاركته في الحكم على القضية و ذلك لإضفاء نوع من الشفافية و المصداقية في الحكم غير أن الدوناتيون قد اعرضوا عن الاستفادة من هذا العرض[42] .

في 03 جوان بدأت الدورة الثانية التي ستعلن عن بداية المجادلة الفعلية ، فكان الى جانب الكاثوليك كل من : 1-اوريليوس Aurelius 2- فيكونتوس Vincentuis 3- فورتيناتوس Fortunatus 4- فورتيناتينوس Fortunatianus 5-الى جانب اثنان من المقربين إلى اغسطينوسو هما صديقه اليبيوس Alypius و تلميذه Possidiusاسقف كالما ، و اغسطينوس[43] كممثل رسمي لهم ؛ أما الطرف الدوناتي فكان يضم : 1- بريميانوس Primianus اسقف قرطاج ، 2- كردنتيوس Gardentius اسقف ثنقادي ، 3- بروتاسيوس Protasius اسقف طبنة ، 4- مونتانوس Montanus اسقف زاما ، 5- اديوداتوس Adeodatus اسقف ميلاف ، 6- اميريتوس Emeritus اسقف موريطانيا القيصرية و كما ذكرنا كان اسقف سيرتا بيتيليانوسPetilianus [44] هو الممثل الرسمي للطرف الدوناتي على أن هذا الأخير إلى جانب اميريتوس كان لهم الدور الكبير في تنشيط المناظرة لصالحهم أما الجانب الكاثوليكي فقد برز فيه القديس أغسطين بلا منازع[45] .

اظهر الدوناتيون في الجلسة الأولى و الثانية تفوق كبير على يد مفوضهم بيتيليانوس السيرتي ، الذي بدأ المناوشات الكلامية خلال المناظرة لصالح الكنيسة المنشقة و قد كان هذا الأخير حذرا جدا و فطنا في تقديم حججه فقد ابتعد كل البعد في الحديث عن قضية كايكيليانوس[46] الذي تمت تبرأته مرتين من قبل قنسطنطين باعتبار ان مارسيليانوس و بدون شك كان يدعم التشريعات و المراسيم الإمبراطورية السابقة بل ركز بيتيليانوس على الحجج المؤثرة التي تبرهن على ان كنيستهم هي الكنيسة الحقيقية ، و سعيا وراء ربح المزيد من الوقت لإيجاد الحجج و الدلائل المقنعة

طلب الدوناتيون تأجيل لمدة 05 أيام لكن المحضر الرسمي الذي سجل في اليوم الأول لا يسمح لهم بذلك[47] إذ تمّ تحديد موعد كل الجلسات كما اسلفنا الذكر .

في فجر 08 جوان 411 م استأنفت الجولة الثالثة من المناظرة الثالثة و التي أخذت نوع من الاستقامة و الحزم في مناقشة قضايا أهمها ، الطبيعة الحقيقية للكنيسة[48] و في هذه القضية حضّر الدوناتيون ملف ملفت للانتباه[49]غير أن طرق تحديد التعاليم المسيحية و ممارستها هو ما اتفق عليه الطرفين و ذلك بالرجوع إلى سلطة الكتاب المقدس[50]، الذي اعتمد بشكل كبير خلال المناقشة و ذلك بالاقتباس و تقديم الحجج كما اتفق الطرفين على تسمية كنيسة المسيح بـ " الكنيسة الكاثوليكية المقدسة "(51 إلا أن الكاثوليك ركزوا على فكرة كاثوليكيتها أما الدوناتيون ركزوا على فكرة قداستها .

خلال هذه الجولة اتهم الكاثوليك خصومهم بالانفصال عن إخوانهم في الكنيسة و هذا عكس ما نادى به المسيح الذي حث على أن تكون الكنيسة موحدة ، فكان ردّ الدوناتيون أن هذه الوحدة يجب ان تكون داخل الكنيسة المقدسة ، تماما كقدسية المسيح و كانت حجتهم في ذلك هي التوصية الرسولية : " فاعزلوا الخبيث من بينكم 52"

كان الدوناتيون يقصدون من وراء هذه التوصية الرسولية كايكيليانوس الذي اعتبروه خائن و يجب إبعاده و عزله عن الكنيسة ؛ كان ردّ الكاثوليك أن مهمة العزل هي من اختصاص الأساقفة الرسميين لا من طرف الدخلاء المنشقين ، فردّ الطرف الدوناتي بانه كان يجب طرد و عزل أمثال كايكيليانوس فهو خارج عن الكنيسة و بدل عن ذلك عين كأسقف و وفقا لهذا فالكنيسة قد فشلت في تطبيق التعاليم الحقيقية للمسيحية و بالتالي فهي لا تستحق الاحترام و من ثمة وجب الانفصال عنها تماما مستعينين بكلمات المسيح : "كلّ غصن فيّ لا يأتي بثمرة فنزعه .....ان كان احد لا يثبت فيطرح خارجا كالغصن فيجف . "

اعتبر الدوناتيون انفسهم حلفاء كابريانوس[53] الحقيقيون الذين صمدوا وقت الاضطهاد و كابدوا كافة أشكال العذاب و اعتبروا انفسهم البقية التقية التي يسمع صوتها لدى الله و كانوا يعتمدون بشكل كبير على كلمات المسيح في دعم حججهم و آرائهم.

بعد حوالي 12 ساعة من المواجهة بين الطرفين امل أغسطين الذي اكتفى بالإنصات منذ مستهل هذه المناظرة أن تكون هذه المجادلات ذات نتائج إجابيه تصب في المصالحة و لمّ شمل الكنيستين لكن ظنه خاب ، إذ أن المجادلات أخذت طابع اتهام كل طرف للآخر بالاضطهاد المتبادل[54] ، فكان هو على أتم الاستعداد في الجولات اللاحقة إلى أن يصل إلى حلّ يسوي النزاع بين الطرفين بكل الأساليب و الطرق دون أن يتنازل عن مبادئ المسيح العليا[55]، فرأى أغسطين أن تكون البداية بتصحيح مفهوم الكنيسة لدى الدوناتيون الذين – حسبه – قد اخلطوا بين الكنيسة السماوية و الكنيسة الدنيوية[56]

فالأولى تمثل الكنيسة المثالية التي لا يمكن أن يشوبها خطأ أو عيب و هي ممجدة في السماء على عكس الثانية ، كنيسة الضعفاء الخطائين و الساقطين[57] و لابد أن تحوي الكنيسة مثل هؤلاء الناس ما دمنا نحيا و نعيش و لن يتم عزلهم و معاقبتهم إلا في الآخرة و إلى ذلك الوقت يرى أغسطين انه لا يحق لأي إنسان كان أن يحاسب إنسان

آخر إلا الله و كلّ من انفصل عن الكنيسة لان أعضاءها غير مستقيمين فهو مذنب عند الله ، و ذنبه أعظم من غير المستقيمين لأن خطيئة و ذنب الانفصال هي إساءة إلى محبة الله و المسيح.

اعتبر أغسطين وجود الأشرار و الأبرار على هذه الأرض امرّ محتوم و قد أعطى مثال عندما شبه ما يحصل على الأرض بالصياد الذي يرمي شباكه في البحر ، فهو يحصل على السمك الجيد و الرديء و بالتالي يرى أغسطين أن واجب الكنيسة ليس محاسبة الناس و لكن واجبها أن تعلم الناس الاستقامة و أن تحسن من أوضاع الضعيف ، الضال و الجاهل[58].

رفض الدوناتيون كل هذه الحجج و اعتبروا أن كل هذا يحصل خارج الكنيسة و لا يفترض أن يحدث داخلها باعتبارها رمز الاستقامة و القداسة إلى حدّ هذه الجولة لم يستطع أغسطين أن يكون سيدّ الموقف إلا في الجلسة الأخيرة ، أين أراد أن يبرهن هذا الجدل الطويل ، فعرض على خصومه أن يفصلوا في قضية كايكيليانوس[59] إذا ما كان هذا القس قد خان الإيمان أم لا و إن افسد الكنيسة الكاثوليكية في إفريقيا و بالتالي كان لابدّ من فتح موضوع فيليكس[60] الذي اتهم بالتخاذل أيام الاضطهاد ، الأمر الذي جعل الدوناتيون وقتها يبطلون هذا التعيين ( أي تعيين كايكيليانوس ) لكن قراءة المحضر الرسمي لهذه القضية جعل الدوناتيون في موقع ضعف فالمحاضر تظهر في اكثر من مرّة براة فيليكس[61] و بالتالي فسيامة كايكيليانوس صحيحة .

بنيت ادعاءات الدوناتيين على أساس باطل وفقا لما قدمه خصومهم من حجج اتجاه قضية كايكيليانوس و فوضع بذلك بيتليانوس على أرضية هشة ، كما شعر بأحراج شديد دفعه إلى مهاجمة أغسطين ، مذكرا إياه بالخطايا و المجون الذي عاشه في شبابه[62] ما اتهمه ضمنيا انه لايزال ينتمي إلى الطائفة المانوية[63]، لكن أغسطين لم ينكر هذه الخطايا و كان سهلا عليه ردّ هذه الاتهامات و ذلك بما له من شهرة أدبية و فصاحة بلاغية و كتابات لاهوتية غزيرة في تللك الفترة.

انتقل الحوار بين الطرفين إلى موضوع آخر له صلة اقرب بالمناظرة نفسها و هي إرغام أولئك المنشقين بالعودة إلى الكنيسة رغم عدم اقتناعهم بذلك ، و هنا ربما يقصدون أغسطين الذي غير رأيه حول هذه القضية في حوالي 408 م[64] إذ كانت وجهة نظر أغسطين حول هذه القضية هو اتباع أسلوب الإقناع و التأثير لتحقيق الوحدة الكاثوليكية ، أمام تعنت و إصرار الدوناتيون و التمسك اكثر فاكثر بآرائهم ، دفع أغسطين إلى التفكير في تدخل السلطة القانونية عن طريق التهديد و العقاب ان الزم الأمر و ذلك بهدف لمّ شمل الكنيسة من جهة و حفظ الأمن و الاستقرار من جهة ثانية ، إذ رأى أغسطين أن هذا الأسلوب قد اثبت نجاعته في كثير من الأحيان و دليل ذلك هو أن الأقلية الكاثوليكية في هيبون و ضواحيها قد أصبحت تمثل الأغلبية[65] و من هنا كان تبريره أن الغاية تبرر الوسيلة و قد استعان هنا بكلمات المسيح القائلة : " ***الزموهم بالدخول*** "[66] و لاشك أن هذه الحجة قد دحضت الدوناتيون باعتبار انهم ربما كانوا ليؤدوا نفس الفكرة لو تاحت لهم الفرصة في استخدام القوة القانونية لإخضاع خصومهم الكاثوليك و دليل ذلك هو احتكامهم اكثر من مرة إلى السلطة.

اكتفى رئيس الجلسة مارسيليانوس بالصمت و الإنصات طوال هذه الجلسات و حان الوقت لتدخله للفصل بين التجادلين و لمّ شمل الكنيستين تحت شعار " ***الوحدة الكاثوليكية*** "[67] ثم اصدر مارسيليانوس حكمه الذي

نزل على الدوناتيون كصاعقة ، فمرسيليانوس تأثر بانضباط و هدوء و حكمة القديس اغسطنيوس الموسومة بالرحمة و الرأفة ، اتجاه خصومه الذين قابلوه بالعنف و التعصب و عدم قبول اي فكرة من خصومهم[68].

انتهت الجلسة لصالح الطرف الكاثوليكي ، و قد سمح للدوناتيين بالعودة إلى ديارهم سالمين كما تعهد مارسيليانوس في بداية المناظرة و ترك لهم فرصة التفكير في الشروط التي عرضت عليهم و المتمثلة في عدم التعرض لهم و لممتلكاتهم و كنائسهم طالما وافقوا على الالتحاق بالكنيسة الكاثوليكية و قبلوا تعاليمها[69] و خضعوا للمراسيم الإمبراطورية ، أما اذا رفضوا فسيعرضون إلى اشدّ العقوبات و ذلك بقوة القانون .

رغم صراحة الحكم الذي اصدر في حق الدوناتيين إلا انهم رأوا ان الجلسة كانت لصالحهم و لن يفقدوا الأمل في الانتصار على خصومهم ، و اقدموا على رفع شكوى للإمبراطور هونوريوس مفادها أن الجلسة لم تكن عادلة في إصدار أحكامها و كانت متحيزة للطرف الكاثوليكي ؛ تجاهل الإمبراطور هذه الشكوى تماما ، و اصدر في السنة الموالية قانون 30 جانفي 412 م و وجهه إلى سيلوكيوس Seleucus المحافظ الإمبراطوري لإفريقيا من اجل تطبيقه ، مؤكدا فيه دعمه لقرار و حكم مناظرة قرطاج سنة 411 م و الذي يفرض غرامات مالية على كل من له علاقة بالدوناتية و أن الذين ليس باستطاعتهم دفع تلك الغرامات المالية سيتم جلدهم و ضربهم ضربا مبرحا و معاقبة كل من يحاول مساعدة و حتى التعاطف مع الدوناتيين .

جاء هذا القانون مخالفا تماما للقوانين السابقة ، فهو لا يهدد بسجن و إعدام أشخاص معينين من الأساقفة الدوناتيين و لكنه هدد كل طبقات المجتمع من قمة الهرم الاجتماعي إلى قاعدته ؛ هذا يعني القضاء على الدوناتيين من خلال اقتلاع جذورهم من قريب أو بعيد أي حتى من تكون له محاولة مساعدتهم أو الوقوف إلى جانبهم ، و جاءت الضرائب مثقلة حسب التسلسل الاجتماعي و هذا بهدف هدم بعض العائلات الأرستقراطية التي لم تستجب للقانون ؛ و من اجل إنجاح ذلك ارسل الإمبراطور مندوبون خصوصيون للإشراف على التنفيذ و التعامل الفوري مع من يظهر أي تهاون من قبل الموظفين المكلفين بذلك [70].

لم يكن القضاء على الحركة الدوناتية بالأمر الهين ، فهذه الحركة تجذرت عبر الأجيال و زاد اتباعها اقتناعا بمبادئها و أبت أن تنطوي تحت كنف الكنيسة الكاثوليكية الرسمية فلم تكن عقوبات قانون سنة 412 م كافية للقضاء على الدوناتية فقد صاحب شدة تطبيق القوانين إصرار كبير من طرف اتباعها على التمسك بها رغم حدة التنكيل بهم .

### *4- الدوناتية بعد مناظرة قرطاج :*

لم تزد صرامة تطبيق القوانين الدوناتيين إلا حدّة و إصرار على التشبث بآرائهم و مبادئهم ، ففي نوميديا مثلا قام الأسقف قودونتوس Gaudentus بمقاومة برفض الاستسلام أو الرضوخ إلى أوامر السلطة ، و قام بحبس

**الهوامش و الحواشي :**

[1]- القديس اغسطين ، اعترافات ، تر: الخوري يوحنا الحلو ، ط5 ، دار دمشق ، سوري ، 1996 ، ص 01

[2]-Decourcel ( Dominique) , Augustin le génie de l'Europe (354-430), edition Janlate , France,1995,P28

[3]-Ibedem , p 37 .

[4] -القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 31 .

[5] -المصدر نفسه ، ص 31 .

[6]-آلان فيترجيرالد ، موسوعة اغسطين عبر العصور ، ج1 ، ط1 ، مركز بيت الحياة ، د.م ، 2010 ، ص 76 .

[7]-Amand( Biechy ), Saint- Augustin de L'Afrique au Ve Siècle , 1[ere]dition ,Barbou fereres impremeur , libraire , 1867 , p 55 .

[8]-Ibedem , p 56 .

[9] -القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 19 .

[10] -P16 Brown ( Peter), La vie de Saint-Augustin , Trad : Jeanne marou , Édition du seule , France , 2001

[11] -القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 31 .

[12]- Brown ( Peter) , p 42 .

[13] -القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 32 .

[14] -جاريث ب.ماثيور ، اغسطين ، تر: ايمن فؤاد زهري ،ط1 ، آفاق للنشر و التوزيع مصر ، 2013 ، ص 24 .

[15] -المرجع نفسه ، ص 24 .

[16]-Brown ( Peter) , P 46 .

[17] -ماني: ولد في بابل عام( 216-277م) كان اعرجا ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية التي سمحت له بفضل قوت عائلته و ثروتها بكسب حياد الملك شالبور1و في عهده استطاع أن يعبر عن أفكاره حتى الغريبة منها بل وفرضها في محيطه ،و مبدأه قائم على الخير و الشر ، النور و الظلام كما قسم الأنبياء إلى قسمين قسم صالح و قسم شرير ، ادعى أن رسالته هي رسالة زر داشت و اليسوع ، زعم أن آدم هو من خلق الشيطان و قد حذر اتباعه من القتل ، الكذب و الزنا و ذبح الحيوان و دعى إلى العزلى و التبتل ، لكن الأمر تغير بالنسبة إليه مع الملك الموالي بهرام الذي كان يخضع لكهنوت الديانة الرسمية ، الديانة الزرادشتية فسجنه ليتوفى بعد 26 يوم .للمزيد انظر القديس اغسطيين ، اعترافات ، ص كذلك : حسن نعمة ، موسوعة الأديان السماوية و الوضعية ، ميثولوجيا و أساطير الشعوب القديمة ، دار الفكر اللبناني ، 1994 ، لبنان ، ص 65 .

[18] -القديس اغسطين ، اعترافات ، ص 57 .

[19] -المصدر نفسه ، ص 86 .

[20] -المصدر نفسه ، ص 89 .

[21]- Brown ( Peter) , p 16.

[22] -الأفلاطونية المحدثة : يمكن تعريف الأفلاطونية المحدثة بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية ، و هي مذهب قام على أصول أفلاطونية اتمه اتباعه في القرنين الثاني و الثالث للميلاد ، و قد تأثر المذهب باليهودية و المسيحية و ابرز الأفلاطونيين المحدثين افلوطين (205-270) انظر : يوسف كرم ،، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، د.ط ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، 2013 ، ص 285-298 كذلك: سهيل بشروئي و مراد مسعودي ، تراثنا الروحي ( من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة ) ، تر: محمد غنيم ، ط1 ، دار الساقي ، لبنان ، ص 171 .

[23] -إتين هنري جلسون ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط : تر : إمام عبد الفتاح إمام ،ط3 ، مكتبة دوبلي ، 1996 ، الكويت ، ص 63 .

[24] -امبروازيوس :من آباء الكنيسة القلائل الذي تعتز بهم الكنيسة المسيحية ولد بمدينة تريير (تريف او تيراف)في بلاد الغال حوالي عام 240م، من أسرة رومانية عريقة نال حظا وافرا من التعليم فدرس القانون و الآداب اللاتينية و اليونانية في روما عندما خلا

منصب رئيس أساقفة ميلان سنة 274م عين في ذلك المنصب بعد أن حصل على تأييد إجماعي شامل كرس حياته لخدمة الكنيسة ، و لم يقف إخلاصه للكنيسة ولائه للإمبراطورية الرومانية لاعتقاده أن المسيحية ستكون مصدر قوة الإمبراطورية و أن انتصار الكنيسة على الوثنية يوازيه انتصار الإمبراطورية الرومانية على المتبربرين ، و في نفس الوقت كان يؤمن أن قانون الكنيسة لابد أن يخضع له كل الناس على حد السواء بما فيهم الإمبراطور نفسه و قد اثبت تطبيق هذا القانون عندما اجبر الامبراطور ثيودوسيوس الأول على طلب المغفرة اثر المذبحة التي قام بها في ثيسالونيكا في بلاد اليونان عام 390 م التي راح ضحيتها 7000 آلاف شخص اثر قيامهم بثورة انتهت بمقتل حاكمهم و بهذا اثبت امبرواز إجبارية خضوع الكل للكنيسة و من هنا كسب امبرواز مكانة مرموقة في سلك الأسقفية و الإمبراطورية توفي في سنة 397م للمزيد انظر : القديس امبروزيوس ، دون عنوان، تر: ريمون يوسف ، ط1 ، مطبعة الدلتا ، 2011 ، مصر .

[25] -آلان فيتزجيرالد ، 2010 ، ص 76 .

[26] - يقصد بهم أولئك الذين لم يظهروا صمودا أيام الاضطهاد المسيحي لا سيما أيام اضطهاد ديقليديانوس ( 303-305م ) و تحت وطأة التهديد و الاضطهاد قاموا بتسليم الكتاب المقدس للسلطات الرومانية التي قامت بحرقه ، في حين استطاعت جماعة من الأوفياء مكابدة هذا العذاب و صمدت إبان هذه الأزمة و بعد إعلان قسطنطين لمرسوم ميلان في 313 م أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للكنيسة و نعم المسيحيون بالحرية في ممارسة شعائرهم الدينية لكنهم اخذوا موقف معاد و متطرف إخوانهم الذين لم يصمدوا من قبل و وصفوهم بالمتخاذلين أو الخونة للمزيد انظر : محمد المبكر ، شمال إفريقيا حركة الدوارين و علاقتها بالدوناتية 305 م – 429 م ، ط1 ، مطبعة دار النجاح الجديدة الغرب ، 2001، ص 24-26 . كذلك :

Maria (Bats) , et Autres , L'empire romaine au III siècle , ED Philipe Lemarchand et Anne Samain , Belgique , 1997 , p 259

[27] - Paul Corbier et Griesheimer , L'Afrique romaine 146 av. j-c 439 ap j-c , ED : Eipses , France , 2005 , p 241 .

[28]- هونوريوس (Honorius) هو ابن الإمبراطور ثيودوسيوس (Theodosius(379-395م) ولد في سبتمبر 384 ، و منحه أبوه لقب " أغسطس " أي شريك في الحكم في جانفي 293 م و عند وفاة ثيودوسيوس في 17 جانفي 395 تقاسم الحكم مع أخيه "اركاديوس) (Arcadiusios" (395-408) حكم الإمبراطورية فكان نصيبه القسم الغربي منها ، كان ضعيف الشخصية أما الجنرال الوندالي ستيليكو(Stilicho) هو من مارس الوصاية عليه (395-408) تم من بعده القوطي آلارك (Alaric)سنة 410 م ثم الجنرال الرومان فلافيو قسطنتينوس) (Flavius Constantinus(410-421م) توفي هونوريوس في 423 م و ترك الإمبراطورية الغربية ضعيفة أمام مغتصبي الحكم و هجمات الشعوب المتبربرة انظر : محمد المبكر ، المرجع السابق ، ص87

[29] Actes de la conférence de Carthage en 411tr : Serge Lencel , tom I , édition du CERF , 1972 , paris , p 25

[30]- مارسيليانوس : والي إفريقيا و رجل ذو شجاعة و فضائل تميز بمسيحيته المتشددة شهد له كلّ من أغسطين و جيروم في كتاباتهم و نظرا لكفاءته عينه الإمبراطورة هونوريوس كرئيس و قاض حالكم في هذه مناظرة قرطاج انظر : روبين دانيال ، التراث المسيحي في شمال إفريقيا دراسة تاريخية من القرن الأول إلى العصور الوسطى ، تر : سمير مالك ، دار منهل الحياة ، 1999 ، بيروت ، ص 247.

[31]-Serge Lancel , op , t I , op cit , p 31

[32]-Ibebem , tom II , P 575

[33]- Brown Peter , op cit , p 372

[34]- روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 247.

[35]-Serge Lancel , t I , op cit p 36

[36]-Francois Decret , Le christianisme en Afrique du nord ancienne , Edition du Seuil , France , 1996 , p 173 .

[37] -Brown Peter , op cit , p 373

[38]-Paul Corbier , op cit , 243

[39]-Francois Decret , op cit , 173

[40] -Paul Corbier , op cit , p 243

[41]- Brown Peter , op cit , p 373

[42]-Serge Lancel , op cit , p 577

[43]-Ibedem , p 415

[44]- اسقف سيرتا ، محامي متمرس و مشهور ، كان كاثوليكيا ثم تمّت سيامته كأسقف دوناتي ضد إرادته و بدل أن يرفض هذه السيامة كرس كل مواهبه و معارفه لدعم الكنيسة الدوناتية ضد منافستها الكاثوليكية و قد لعب دورا كبيرا في مناظرة قرطاج . انظر : ورمنتقن ( هـ.ب ) ، تاريخ ولايات شمال إفريقيا الرومانية ( من ديقليديانوس إلى الاحتلال الوندالي ) ، تر : عبدالحفيظ فيصل الميار ، ط 1 ، د.م ، 1994 ، ص 135.

[45]-Paul Corbier , op cit , p 242 .

[46]-كايكيليانوس : كايكيليانوس :هو اسقف قرطاج الذي تعتبر سيامته السبب في الانشقاق الكنسي سنة 312 م ، و عين خصومه ماجورينوس كمنافس له الذي ما لبث Hان توفي فخلفه دوناتوس الذي سميت الحركة نسبة له . و قد توفي كايكيليانوس في 346 م . للمزيد عن سيامة كايكيليانوش و بداية الانشقاق انظر : Berndette ( Cabauret ) , et autre , Question d'histoire de l'Afrique romaine de( 69 – 439) romanisation et christianisation . la confédération chrétienne des Flavien à Gallien et la Numidie chrétienne dans l'antiquité tardive , Edition de temps , France , 2005 p 116

[47]- François Decret , op cit , 173

[48]- Paul Corbier , op cit , 243 .

[49] -Brown Peter , op cit , 435 .

[50]- روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 248 .

[51]- المرجع نفسه ، ص 248 .

[52]- نقلا عن المرجع نفسه ، ص 249 .

[53]-كبريانوس : ولد في حوالي 210 م و على الأرجح بقرطاجة ، لأبويين وثنيين ، الذين حرصا على تعليمه حتى صار خطيبا و أستاذ بلاغة و فلسفة ، كما مارس المحاماة بمسقط رأسه دخل مسرح الأحداث حين انتخب اسقفا على قرطاج في نهاية 248 م أو بداية 249 م ؛ لم يعلم كبريانوس أن حياته أصبحت ممددة بالموت و ذلك منذ أن اعتلى ديقليديانوس العرش و اصدر مرسوم يقضي بتقريب القرابين و الأضاحي للآلهة ، و مع إعلان فاليريانوس مرسومه في 258 م استدعي من طرف والي إفريقيا أين رفض اعترافه الآلهة الوثنية بقوله :" أنا مسيحي و اسقف لا اعترف بآلهة أخرى غير الاله الواحد و الحقيقي ، خالق السماء و الأرض و البحر و كلّ ما فيها و نحن المسيحيين نخدم هذا الاله و نتضرع إليه نهارا و ليلا من أجلنا و من اجل جميع البشر و من اجل خلاص الأباطرة انفسهم ." ، اثر هذا نفي إلى مدينة صغيرة في جنوب رأس الرجاء الصالح ، بعد سنة و بالتحديد في 14 سبتمبر 258 م أعدم ؛ من اهم القضايا التي تصدى لها إعادة تعميد الذين عادوا إلى الكنيسة ، الف اثنى عشرة مؤلف في العلوم الدينية كما له واحد و ثمانين رسالة تسرد لنا بدقة متناهية اهم Hاحداث و وقائع الكنيسة في القرن الثالث . انظر : اليان غوندينه ، كبريانوس بابا إفريقيا ، تر، انطوان الغزال و صبحي محمودي اليسوعي ، في أعمال تاريخ الكنيسة المفصل ، مج : 1 ، ط1 ،دار المشرق ، 1999 ، لبنان ، ص 105 -110 ، كذلك : حفناوي بعلي ، التعليم في نوميديا و منطقة قالمة في العصر الروماني خصوصياته ، رجالاته ، آثاره ، مجلة المعالم ، مجلة المعالم ، العدد 09 ، الجزائر ، 2008 ، ص 54 .

[54]-Paul Corbier , op cit , p 243

[55]-Saint-Augustin , traité anti-donatiste , op cit , p 25

[56]-Ibedem , p 26

[57] -للمزيد عن هذه الفكرة انظر ، أغسطين ، مدينة الله ، ج3 ، كتاب 22.18 ، تر: يوحنا الحلو ، ط2 ، دار المشرق ، لبنان ، 2007 .

[58] -روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 250-251 .

[59]-Saint-Augustin , Traité anti-donatiste , op cit , p26

[60] -فيليكس: (Felix) اسقف مدينة ابثوكي (Abthugni) ، الذي اتهم بعدم الصمود أمام اضطهادات السلطة و ذلك بتسليم التاب المقدس لكن التحقيق الذي امر به قسطنطين في شأن تهمة التسليم برأ ساحته سنة (3014-315 م ) انظر: محمد المبكر ، ص 27.

[61]-Paul Corbier , op cit , 243

[62] -روبين دانيال ، المرجع السابق ، ص 251 .

[63]-تعود بداية المانوية إلى حوالي 240 م ، بإقليم بابل ، و سميت بالمانوية نسبة لمؤسسها ماني ( 216-276 ق.م ) ، الذي اطلق على نفسه اسم خاتم الأنبياء و رسول الجيل الأخير مزجت المانوية بين المزدية ، المسيحية و البوذية و قد ظهرت المانوية بمظهر عرفان او وحي موسع بمثابة ديانة حقيقية ؛ اعتبر ماني نبيا لها و سمي نفسه بالملهم و انه النبي الأخير لسلسلة طويلة من الرسل السماوية المبعوثة إلى الإنسانية و اعتبرت المانوية احدث عهدا من الزرداشتية و البوذية و المسيحية ، و أنها النور الاسمى الذي يكشف الحقيقة التامة للبشرية و جاءت لتسير على خطى أسلافها لإتمام تعاليمهم لتفصيل اكثر : جيو ويد نغرين ، ماني و المانوية دراسة لديانة الزندقة و حياة مؤسسها ، تر: سهيل زكار ، ط1 ، دار حسان ، 1985.

[64] -المرجع نفسه ، ص 250 .

[65] -المرجع نفسه ، ص 252 .

[66] -نقلا عن الشيخ ابو عمران ، أغسطين العنابي و مقاومة الحركة الدوناتية ، مجلة الأصالة ، العدد 34 ، الجزائر ، 1976 ، ص 175 .

[67]-Saint-Augustin , Triaté anti-donatiste , op cit , p 26

[68] -Ibedem , p 25

[69] -محمد البكر ، المرجع السابق ، ص 48 .

[70] -ورمنتقن ( ب.هـ ) ، المرجع السابق ، ص 143 .